

دراسة قصيدة «الفوز و الأمان في مدح صاحب الزمان»

السيد أبو الفضل سجادي*

إبراهيم أنارى بزجلوئى**

المستخلص

يعتبر الشيخ البهائي من كبار العلماء و الأدباء في العالم العربي و الإسلامي، و قد ألف تاليفات قيمة في مختلف المجالات. أجاد البهائي اللغتين العربية و الفارسية بحيث كان يقرض الشعر فيهما، من أشهر قصائده العربية قصيدة «الفوز و الأمان في مدح صاحب الزمان» و التي خصصها بمدح الإمام المهدي (عج)، في ثلاثة و ستين بيتاً. الملفت للنظر في هذه القصيدة أن الشاعر لم يخرج عن الإطار التقليدي و عمود الشعر العربي القديم و بعد أن يأتي بمقدمة غزلية و فخرية يدخل الغرض الرئيس و هو مدح الإمام (عج) و يورد فيها مبادئ الشيعة الاثنا عشرية و ينهيها بالفخر بنفسه و شعره.

الكلمات الرئيسية: القصائد العربية، الإمام المهدي (عج)، أعيان الشيعة، الشيخ البهائي، المدح.

المقدمة

الشيخ بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد بن محمد بن علي بن الحسين بن صالح الحارثي الهمداني العاملي الجبعي. و «الحارثي الهمداني» نسبة إلى الحارث الهمداني صاحب أمير المؤمنين علي (ع)، و «الهمداني» نسبة إلى همدان، القبيلة العربية المشهورة، و هم حى من اليمن (الأميين، محسن، ١٤٠٣ هـ.ق: ج ٩/ ص ٢٣٤).

قال الإمام علي (ع) في هذه القبيلة:

جَزَى اللهُ هَمْدَانَ الْجِنَانِ فَإِنَّهُمْ
سِمَامُ الْعِدَى فِي كُلِّ يَوْمٍ خِصَامٌ^١

* استاذ مساعد بجامعة أراك a-sajady@araku.ac.ir

** استاذ مساعد بجامعة أراك i-anari@araku.ac.ir

تاريخ الوصول: ٨٩/٨/٢٢، تاريخ القبول: ٩٠/١/٢٠

أناسٌ يُحيُّونَ النَّبيَّ وَرَهْطَهُ سِرَاعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ غَيْرَ كَهَامٍ^٢
إِذَا كُنْتُ بُوَاباً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ أَقُولُ لَهُمْدَانِ ادْخُلُوا بِسَلَامٍ

(الأعلمي، ١٤١٩هـ.ق: ص ١٣٠)

و أقدمُ مصدر لأحوال الشيخ البهائي هو كتاب «سلافة العصر» للسيد عليخان المدني، حيث قال: مولده بعلبك عند غروب الشمس يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة الحرام سنة ٩٥٣هـ.ق (المدني، ١٤٢٤هـ.ق: ص ٢٩٠). و قال في كتابه «الحدائق الندية في شرح الفوائد الصمدية»: مولده عند غروب الشمس يوم الأربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث و خمسين و تسعمائة، كذا نقلته من خط والده^٣. (المدني، ١٣٨٧هـ.ش: ص ٢)

و ينقل العلامة السيّد محسن الأمين في كتاب «أعيان الشيعة» قول بعض العلماء: أمّا القول بأنّه ولد في بعلبك فبعيدٌ عن الصواب، بل هو خطأ محض ... و الروايات تكاد تؤيد القول بأنّه وُلد في آمل الإيرانية الكائنة على طريق مازندران. (الأمين، ١٤٠٣هـ.ق: ج ١١/ ص ٢٣٧) و توفّي في إصفهان في ١٢ شوال سنة ١٠٣١هـ.ق على أرجح الأقوال. (الأميني، ١٣٩٧هـ.ق: ج ١١/ ص ٢٨٠)، و نقل قبل الدفن إلى مشهد الرضا (ع) و دفن هناك في داره بجانب الحضرة المقدسة الرضوية، و قبره هناك مشهور بزار إلى اليوم.

يقول تلميذه الفاضل المحدّث الورع التقى القدسيّ المجلسي: و سمع قبل وفاته بسنة أشهر صوتاً من قبر بابا ركن الدين (قدّس سرّه) فكانت قريباً منه، فنظر اليها، و قال: سمعتم ذلك الصوت؟ فقلنا: لا، فاشتغل بالبكاء و التضرّع و التوجّه إلى الآخرة، و بعد المبالغة العظيمة قال: إنّه أخبرت بالاستعداد للموت، و بعد ذلك بسنة أشهر تقريباً توفّي رحمه الله، و تشرّفتُ بالصلاة عليه مع جميع الطلبة و الفضلاء و كثير من الناس يقربون من خمسين ألفاً. (العلامة الخوانساري، ١٣٩٢هـ.ق: ج ٧/ ص ٧٨)

أقوال العلماء فيه

يقول العلامة الأميني في حقه: شيخ الإسلام بهاء الملة و الدين، و أستاذ الأساتذة و المجتهدين ... و العارف البارع و المؤلّف المبدع و الأديب الشاعر، و الضليع من الفنون بأسرها، فهو أحد نوابغ الأمة الإسلامية. (الأميني، ١٣٩٧هـ.ق: ج ١١/ ص ٢٤٦)

و قال السيّد مصطفى التفرّيشي في «تقد الرجال»: جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشان، كثير الحفظ، ما رأيت بكثرة علومه و وفور فضله و علو مرتبته أحداً في كل فنون الإسلام كمن كان له فن واحد، له كتب نفيسة جيدة. (التفرّيشي، ١٤١٩هـ.ق: ج ٤/ ص ١٨٦)

و قال السيّد علي خان في السلافة: علم الأئمة الأعلام، و سيّد علماء الإسلام، و بحر العلم المتلاطم بالفضائل أواجه و فحل الفضل الناتجة لديه أفراده و أزواجه، و طود المعارف الراسخ، و فضاؤها الذي لاتحدُّ له فراسخ، و جوادها الذي لا يؤمل له لحاق، و بدرها الذي لا يعتريه محاق، الرحلة التي ضربت إليها أكباد الإبل، و القبلة التي فطر كلُّ قلب علي حبّها، فهو علامة البشر و مجدّد دين الأئمة على رأس القرن الحادي عشر ... فما من فنٍّ إلا و له فيه القدح المعلى و المورد العذب المحلّي، إن قال لم يدع قولاً لقائل، أو طال لم يأت غيره بطائل. (المدني، ١٣٢٤هـ.ق: ص ٢٩٠). و جاء في ريحانة الأدب: شيخ الفقهاء، أستاذ الحكماء، رئيس الأدباء، علامة الدهر، فهامة العصر، شيخ الاسلام و المسلمين، ... مفسّر، رياضي، حكيم متكلم، أديب أريب، شاعر ماهر. (المدرس التبريزي، ج ٣ / ص ٣٠١). و هناك كثير من الأقوال في حقّ هذا العالم الجليل، ندعها احترازاً من إطالة الكلام.

مشايخه و أساتذته

إنّ رحلات الشيخ البهائيّ لاقتناء العلوم رداً من عمره، و أسفاره البعيدة إلى أصقاع العالم دون ضالته المنشودة، و تجوُّه دهرًا في المدن و الأمصار وراء أمنيته الوحيدة، و اجتماعه في الحواضر الإسلامية مع أساطين الدين، و عباقرّة المذهب و أعلام الأئمة، و أساتذة كلّ علم و فن، و نوابغ الفواضل و الفضائل، تستدعي كثرة مشايخه في الأخذ و القراءة و الرواية، غير أنّ المذكور منهم في غضون المعاجم، (الأميني، ١٣٩٧هـ.ق: ج ١١ / ص ٢٥٠)

١. الشيخ والده المقدس الحسين بن عبد الصمد.

٢. الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطيف المقدسي الشافعي.

٣. الشيخ المولى عبد الله اليزدي المتوفى سنة ٩٨١.

٤. الشيخ احمد الكجائي^٥ المعروف ببيير أحمد.

تلامذته

للشيخ تلامذة كبارٌ و شخصيات مشهورة، حيث يلاحظ بينهم أجلة العلماء و الفضلاء منهم:

١. الشيخ حسين بن علي بن محمد الحرّ العاملي المتوفى ١١٠٤ هـ.ق

٢. الملا محسن الفيض الكاشاني المتوفى سنة ١٠٩١ هـ.ق

٣. محمد تقى المجلسي المتوفى ١٠٧٠ هـ.ق

مؤلفاته

بالرغم من أسفاره الطويلة و مناصبه التنفيذية و أعماله العمرانية و المباني الضخمة التذكارية التي شيدها في كبريات المدن، ألف و صنّف في العلوم المختلفة ما يقرب من مائة كتاب، و منها:

١. العروة الوثقى في التفسير.
٢. الجامع العباسي في الفقه.
٣. رسالة فارسية في الاسطلاب.
٤. رسالة عربية في الاسطلاب.
٥. حاشية على تفسير البيضاوي.
٦. حاشية على خلاصة الأقوال.
٧. عين الحياة في التفسير.
٨. تشريح الافلاك.
٩. حلُّ حروف القرآن.
١٠. رسالة في المواريث.
١١. حاشية على المطول.
١٢. أسرار البلاغة.
١٣. الكشكول.
١٤. بحر الحساب.
١٥. لغز النحو.
١٦. خلاصة الحساب.
١٧. الفوائد الصمدية.
١٨. ديوان الشعر.

شعره

للشيخ البهائي شعر كثير بالعربية و الفارسية، و من أشعاره الفارسية مثنوى نان و حلوا (الخبز و الحلوى)، شير و شكر (الحليب و السكر)، نان و پنير (الخبز و الجبن).

قصيدة الفوز و الأمان فى مدح صاحب الزمان (عج)

مقدمة غزلية

و من أشهر أشعاره العربية قصيدة «الفوز و الأمان فى مدح صاحب الزمان (عج)» فى ثلاثة و ستين بيتاً من البحر الطويل، (الأمين، ١٤٠٣هـ.ق: ج ٩/ ص ٢٤٥ و ٢٤٦). و تقسمها إلى سبعة أقسام: القسم الأول يتكوّن من عشرة أبيات يتكلّم الشاعر فيه عن البرق و نجد و أصدقائه و الشكوى من الدهر، و فى القسم الثانى الذى يشمل ستة أبيات يقول الشاعر إنّه يقوم بما يفعل بقية الناس رغم أنّه أفضل منهم، و أما القسم الثالث و هو يشتمل على عشرة أبيات فيفتخر الشاعر فيه بنفسه و بأعماله، و فى القسم الرابع الذى يتكون من خمسة أبيات يهيب نفسه و المخاطب لكى يدخل الغرض الرئيس و هو مدح الإمام (عج)، و من البيت الثانى و الثلاثين يبدأ القسم الخامس من القصيدة و فيه يمدح الإمام (عج)، و يتحدّث عن صفاته و مقامه و علمه (عج)، و فى القسم السادس و هو ثلاثة عشر بيتاً يخاطب المهدي (عج) و يطلب إليه بأن يقوم و يخلص المؤمنين من الظلم و الظالمين و يتكلّم عن صفات أنصاره و أعوانه، و يختتم القصيدة فى القسم السابع فى خمسة أبيات حين يتكلم عن شعره و يفتخر به.

القسم الأول: مقدمة غزلية

يستهلّ الشيخ البهائى هذه القصيدة بتقليد القدامى بمقدمة يمكن أن نسمّيها مقدمة غزلية و يتكلّم عن نجد و برق و تذكرى الذكريات و من أن و مبيض البرق أشعل نار الحب فى قلبه، و يواصل كلامه بذكر الأزمنة و الأمكنة مثل (حزوى و العذيب و ذى قار)، كأنّه كانت للشاعر ذكريات فيها، ثمّ يدعو بأن يسقيها الله، و يتكلّم عن الجيران الذين كانت خيامهم بمنطقة المازمين و يسلم عليهم.

| | |
|---------------------------------|---|
| سرى البرق من نجدٍ فهيجَ تذكّارى | عهداً بحزوى و العذيب و ذى قارى ^٦ |
| و هيجَ من أشواقنا كلّ كامنٍ | و أجيّ فى أحشائنا لاهب النار ^٧ |
| ألا يا نُيُبات الغوير و حاجرٍ | سقيتَ بهطّال من المزن مدرار ^٨ |
| و يا جيرةً بالمازمين خيامهم | عليكم سلام الله من نازح الدار ^٩ |

شكوى الدهر و الفخر بنفسه

ثمّ يشكو البهائى الدهر مخاطباً الأصدقاء بتقليد القدامى، و باستخدام الصور البيانية التى منها الاستعارة المكنية يقول: لم يطالبنى الزمان فى كلّ وقت بأن ينتقم منى، و يقول مستفيداً من

المجاز العقلي: إنَّ الزمان أبعد أصدقائي و غير صفو عيشي، و يتابع الشاعر شكوى الدهر و يقول: إنَّ الزمان عادلٌ بى من لا يمكن له أن يصل إلى عَشْرَ عَشْرَ فضائلي، ثمَّ باستخدام الاستعارة المكنية و الاستفهام التقريري يقول: ألم يعلم الدهر بأنِّي لا أذلُّ لحوادث الدهر و إن كانت عظيمة و شديدة، لأنَّ مقامي أفضل من نجمي الفرقدين، و بالاستفادة من أسلوب الاستفهام الإنكارى يقول: فأىُّ شئٍ يؤثِّرُ فى خفضٍ مقدارى، و يختتم هذا القسم بالفخر و باستخدام صنعة التشخيص، حيث يقول: لا يدرك الدهر غاييتي، و لا يمكن لأىِّ شخص أن يفهم أسرارى:

| | |
|---------------------------------|---|
| خليلى مالى و الزمان كأنما | يطالبنى فى كلِّ وقتٍ بأوتارٍ |
| فأبعداً أحببى و أخلى مرابعى | و أبذلنى من كلِّ صفوٍ بأكدارٍ |
| و عادلَ بى من كان أقصى مرامه | من المجد أن يسْمُوَ إلى عَشْرٍ معشارى ^{١١} |
| ألم يدْرِ أنى لا أذلُّ لخطبه | و إن سامنى خسفاً و أرخصَ أسعارى ^{١١} |
| مقامى بفرق الفرقدين فما الذى | يؤثِّره مسعاه فى خفضٍ مقدارى |
| و إنى امرؤ لا يدرك الدهر غاييتي | و لاتصل الأبدى إلى سرِّ أغوارى ^{١٢} |

القسم الثانى: مماثلته الناس

يقول الشاعر فى القسم الثانى من القصيدة: إنَّه رغم فضائله يخالط الناس بقدر عقولهم لتلا ينكروه و لذلك يظهر بأنَّه يخاف حوادث الدهر و يسرُّ بيسر و يساء بعسر و يهوى العذارى شأن الناس، و يبكى على الأطلال و الآثار الباقية من ديار المعشوقة، و الملاحظ أنَّ أسلوب الشاعر فى عرض أفكاره استخدام الجمل الخبرية بعضها غير مؤكَّدة و بعضها مؤكَّدة بأداة التوكيد، و نرى فيها الإطناب، و بعض الصور البيانية كالاستعارة المكنية، مثل: «و يَضْجِرُنِي الخَطْبُ المَهُولُ لِقَاؤُهُ».

| | |
|--|---|
| أخالطُ أبناءَ الزمان بمقتضى | عقولهم كى لا يفوهوا بإنكارى |
| و أظهرُ أنى مثلهم تستفزنى | صروفُ الليالى باحتلاءٍ و إمرارٍ ^{١٣} |
| و إنى ضاوى القلب مستوفزُ النهى | أسرُّ بيسرٍ أو أملُّ بإعسارى ^{١٤} |
| و يَضْجِرُنِي الخَطْبُ المَهُولُ لِقَاؤُهُ | و يطربنى الشادى بعودٍ و زممارى ^{١٥} |
| و تصمى فؤادى ناهدُ الندى كاعبٍ | بأسمرٍ خطارٍ و أحورٍ سخارٍ |
| و إنى سخي بالدموع لوقفه | على طللٍ بالٍ و دارسٍ أحجارٍ ^{١٦} |

القسم الثالث: الفخر بنفسه

يفتخر الشاعر فى القسم الثالث بنفسه و أعماله و فكره مستخدماً الصور البيانية بكثرة، و يقول: إنَّ

المصائب المتتابعة لا تخيفنى و لا تدمرّ جبل صبرى الشامخ، و أستقبل الخطوب الشديدة بقلب وقور و وجه بشاش و صدر رحيب، و لأظهر هذه الشدائد لكى لا يحزن الصديق و الجار، ثم يتكلم الشاعر عن مقامه العلمى و يقول: إن المسائل العلمية الغامضة التى ما استطاع العلماء أن يحلّوها رموزها حللتها و أحببت عنها. و نشاهد فى هذا القسم من القصيدة أنواع الاستعارات مثل التصريحية فى «معضلة دهماء» و «يحجم عن أغوارها كل مغوار» و «أجلت جياذ الفكر فى حلّياتها» و «أبرزت من مستورها كل غامض»، و المكنية مثل: و خطب يزيل الروع أيسر وقعه. إن الشاعر فى هذا القسم من الأبيات يتكلم كثيراً عن نفسه و أعماله، و إذا نظرنا إلى آثاره القيمة و أعماله الضخمة التى قام بها حكمنا بأن ما جاء به فى الأبيات حقيقة بحتة خالية من الغلو و المبالغة، و وجدنا الشاعر صادقاً فى ما يقول:

| | |
|--------------------------------|--|
| و ما علموا أنّى امرؤ لا يروعنى | توالى الرزايا فى عشى و إكبار ^{١٧} |
| إذا دكّ طود الصبر من وقع حادث | فطود اصطبارى شامخ غير منهار ^{١٨} |
| و خطب يزيل الروع أيسر وقعه | كؤود كوخز بالأسنة سعار ^{١٩} |
| تلقيته و الحنف دون لقاءه | بقلب وقور فى الهزاهز صبار ^{٢٠} |
| و وجه طليق لا يمل لقاءه | و صدر رحيب فى ورود و إصدار |
| و لم أبده كى لا يساء لوقعه | صديقى و يأسى من تعسره جارى ^{٢١} |
| و معضلة دهماء لا يهتدى لها | طريق و لا يهدى إلى ضوئها السارى |
| تشيب النواصى دون حل رموزها | و يحجم عن أغوارها كل مغوار ^{٢٢} |
| أجلت جياذ الفكر فى حلّياتها | و وجّهت تلقاها صوائب أنظارى ^{٢٣} |
| فأبرزت من مستورها كل غامض | و ثققت منها كل قسور سوار ^{٢٤} |

القسم الرابع: التمهيد للغرض الرئيس

و يهينى الشيخ العاملى نفسه و المخاطب فى القسم الرابع لكى يدخل الغرض الرئيس، و هو مدح الإمام (عج) و يبدأ الشيخ البهائى هذا القسم بالاستفهام الإنكارى، و يقول: لن أخضع أمام المصائب و لن أرضى بشيء حقير و لن أفرح بلذة ساعة، ثم يدعو على نفسه، و يقول: إذا رضيت بهذه الأشياء فلا عزّ جانبى و لا طلع قمرى و لا فازت يدى بالجود و السماح و لا انتشرت أخبارى و أحاديثى و فضائلى و لا كانت أشعارى الرائقة فى المهدي (عج)، نرى فى هذا القسم أنواع الكنايات فى سياق الجمل الدعائية مثل: «لا ورى زدى» و «لا عزّ جانبى» و «لا بزغت فى قمة المجد أقمارى» و «لا بل كفى بالسماح» و «لا سرت بطيب أحاديثى الركاب و أخبارى»

و «لا انتشرت في الخافقين فضائلي» و «لا كان في المهدي رائق أشعاري» و كلها كناية عن عدم شهرة الشاعر.

| | |
|----------------------------------|---|
| أ أرضعُ للبلوى و أغضى على القذى | و أرضى بما يرضى به كلُّ مِخْوَارٍ ^{٢٥} |
| و أفرحُ مِن دهرى بلدَّة ساعة | و أقنعُ من عيشى بقرص و أطار ^{٢٦} |
| إذا لا ورَى زندي و لا عزَّ جانبي | و لا بزغتُ في قَمَّة المجد أقماري ^{٢٧} |
| و لا بل كفى بالسماح و لا سرت | بطيب أحاديثي الرُّكَّاب و أخباري |
| و لا انتشرت في الخافقين فضائلي | و لا كان في المهدي رائقُ أشعاري ^{٢٨} |

القسم الخامس: مدح الإمام (عج)

يبدأ الشاعر في القسم الخامس بالعرض الرئيس و هو مدح الإمام المهدي (عج) و من الطبيعي أن يكون معظم القصيدة، و هو في هذا القسم يعرف الإمام (عج) بأنه خليفة الله و ظلُّه على ساكني الأرض، و فيه إشارة إلى حديث النبي (ص): «إن خلفائي و أوصيائي و حجج الله على الخلق بعدى اثنا عشر أولهم على و آخرهم مهدي». (العلامة المجلسي، ١٤٠٣هـ.ق: ج ٣/ ص ١٠٨). و يقول الشاعر على سبيل التشبيه البليغ: هو العروة الوثقى الذي من تمسك به لا يخشى الذنوب العظيمة، و فيه إشارة إلى الآية: (وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [لقمان/٢٢]، و الآية: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) [البقرة/٢٥٦].

يعتقد الشيخ البهائي ككل شيعي بأن الله سبحانه و تعالى أعطى الأئمة المعصومين (ع) قدرة لامنتهى لها، و يقول: لو أراد المهدي (عج) لأنطق كل شيء، و يشير إلى علم الإمام الكثير و يقول: علوم الخلق في جنب علمه كقطرة من البحار، ثم يتابع الشاعر بأن أفلاطون لو استطاع أن يزور الإمام (عج) لرأى حكمة قدسية لا يشوبها شيء. و يعرف الشاعر الإمام (عج) بأنه صاحب سر الله في الكون، و به يسمو و يعتلى العالم السفلى على العالم العلوى، و لو توافقت السموات السبع الطباق على نقض حكم الإمام (عج) لهدمت و سكنت كل دوائر من الدور و انتشرت الكواكب و توقفت عن الحركة.

من حيث الصور البيانية نشاهد في الأبيات الكناية «خليفة رب العالمين و ظلُّه» و «من بذيله تمسك» و التشبيه البليغ «هو العروة الوثقى» و التشبيه المرسل المجمل «علوم الورى في جنب أبحر علمه كغرفة كفاً أو كعمسة منقار» و التشبيه المؤكد الذي أضيف المشبه به إلى المشبه «طود النهي» و الغرض منها بيان حال المشبه، و الاستعارة بنوعها التصريحية و المكنية «لاذ الزمان

بظُّله» و «ألقى إليه الدهرُ مقودَ خوار» و «لو كلفَ الصُّمُ نطقَها» «فاهتُ إليه بأجذار» و «لو السبع الطباقُ تطابقتُ».

يمكن القول إن عاطفة الشاعر في الإتيان بهذه المعاني و المفاهيم صادقة تماماً، و بذلك خالف مبادئ النقد القديمة التي ترى أن أعذب الشعر أكذبه و كأنه قال ما يقول به النقاد المعاصرون قبل قرون إن أعذب الشعر أصدق؛ لأن ما جاء به الشاعر هو وفق الأحاديث و بعض الآيات القرآنية، لذلك أثرت الأبيات على المتلقى تأثيراً كبيراً.

| | |
|------------------------------------|--|
| خليفةُ ربِّ العالمينَ و ظلُّه | على ساكني الغبراءِ مِن كلِّ ديار |
| هو العروة الوثقى الذي من بذيله | تمسَّكَ لا يخشى عظامَ أوزار |
| إمامُ هدى لاذ الزمانُ بظُّله | و ألقى إليه الدهرُ مقودَ خوار ^{٢٩} |
| و مقدرٌ لو كلفَ الصُّمُ نطقَها | بأجذارها فاهتُ إليه بأجذار ^{٣٠} |
| علومُ الورى فى جنب أبحر علمه | كَعَرَفَةَ كَفًّا أو كَعَمَسَةَ منقار |
| فلو زارَ افلاطونُ أعتابَ قدسه | و لم يُعشبهِ منها سواطعُ أنوار ^{٣١} |
| رأى حكمةً قدسيةً لا يشوبها | شوائبُ أنظار و أدناسُ أفكار ^{٣٢} |
| بإشراقها كلُّ العوالمِ أشرفت | لما لاحَ فى الكونينِ من نورها السارى |
| إمامُ الورى طودَ النهى منبعُ الهدى | و صاحبُ سرِّ الله فى هذه الدارِ |
| به العالمُ السفلى يسمو و يعتلى | على العالمِ العلوى من غير إنكارِ |
| و منه العقولُ العشر تبغى كمالها | و ليس عليها فى التعلم من عارِ |
| همامٌ لو السبع الطباقُ تطابقتُ | على نقض ما يقضيه من حكمه الجارِ |
| لنكسَ من أبرجها كلُّ شامخ | و سَكَنَ من أفلاكها كلُّ دوارِ |
| و لانتشرتُ منها الثوابتُ خيفةً | و عافَ السرى فى سورها كلُّ سيارِ |

القسم السادس: حث و استنهاض

أما فى القسم السادس فنرى أن الشاعر يدعو الإمام بأن يقوم و يغيث دين الإسلام الذى لم يبق منه إلا الاسم و هو إشارة إلى حديث النبى (ص): سيأتى على أمتى لم يبق من الإسلام إلا اسمه و من القرآن الا رسمه. (القرطبي، ١٤٠٥هـ.ق: ج ١٢/ ص ٢٨٠) و يدعوه بأن ينقذ القرآن من يد جماعة يميلون عن آياته لرواية رواها الواضعون و الجاعلون، و يخاطب الإمام (عج) بأن يعشش قلوب المؤمنين التي قرّحت فى انتظاره، ثم يشير إلى هذا الحديث النبوى: «تملاً الأرض ظلماً و جوراً فيقوم رجل من عترتى فيملأها قسطاً و عدلاً» (الشيخ صدوق، ١٤١٨هـ.ق: ص ٣٩ و ٤٠)

و يقول مخاطباً المهدي (عج): خلّص عباد الله من ظلم الظالمين و الكافرين، ثم نراه يشير إلى أعوان الإمام و أنصاره (ع) و يقول: أكرم أعوان الإمام هم الفتيان من بنى همدان يعنى قبيلة الشاعر، و يصفهم بأنهم الأبطال الشجعان الذين يخوضون غمار الحرب و لا يخافون شيئاً و يخافهم الأعداء.

إنّ المعانى التي جاء بها الشيخ البهائي في هذه الأبيات هي أحاديث المعصومين (ع) بالنسبة إلى المهدي (عج)، فكلُّ ما تكلم عنه الشاعر حقيقةً و لا شكَّ فيه، و أسلوبه في عرض الأفكار يتراوح بين الخبر و الإنشاء «يحيدون عن آياته» و «فى الدين قد قاسوا» و «أغث حوزة الإسلام» و «خلّص عباد الله». و من حيث الصور البيانية فيها التشبيه المؤكّد نحو: «خبطوا بأرائهم تخبيط عشواء معشار» و بعض الاستعارات المكنية و التصريحية، نحو: «يا من مقاليد الزمان بكفه» و «يحيدون عن آياته» و «أنعش قلوباً فى انتظارك قرّحت» و «يخوضون أعمار الوغى»، فيما أنّ عاطفة الشاعر كانت صادقة فلا شكَّ في تأثيرها على المخاطب.

| | |
|-------------------------------------|---|
| أيا حجّة الله الأذى ليس جارياً | بغير الذى يرضاه سابق أقدار |
| و يا من مقاليد الزمان بكفه | و ناهيك من مجد به خصه البارى ^{٣٣} |
| أغث حوزة الاسلام و اعمر ربوعه | فلم يبق منها غير دارس آثار |
| و أنقذ كتاب الله من يد عصبه | عصوا و تماذوا فى عتو و إصرار |
| يحيدون عن آياته لرواية | رواها أبو شعيبون عن كعب أخبار ^{٣٤} |
| و فى الدين قد قاسوا و عاثوا و خبطوا | بأرائهم تخبيط عشواء معشار ^{٣٥} |
| و أنعش قلوباً فى انتظارك قرّحت | و أضجرتها الأعداء أئمة إضجار ^{٣٦} |
| و خلّص عباد الله من كل غاشم | و طهر بلاد الله من كل كفار ^{٣٧} |
| و عجل فداك العالمون بأسرهم | و بادر على اسم الله من غير إنظار |
| تجد من جنود الله خير كتائب | و أكرم عوان و أشرف أنصار |
| بهم من بنى همدان أخلص فتية | يخوضون أعمار الوغى غير فكّار |
| بكل شديد البأس عبّل شمردل | إلى الحتف مقدم على الهول صبار ^{٣٨} |
| تحاذره الأبطال فى كل موقف | و ترهبه الفرسان فى كل مضمار |

القسم السابع: الإهداء مع الفخر بشعره

فى القسم السابع و هو يشتمل على خمسة أبيات، يرجع الشاعر إلى الفخر بشعره، و يقول مخاطباً الإمام (عج): اقبل هذه القصيدة التي هي كدر عقود على ترائب الأنسات، القصيدة التي يفرح

الشعراء الكبار مثل ابن هانئ و أبى تمام و البشار أن يأتوا بمتلها، و هى أفضل من رائحة الأزهار و الورود و من نسمة الأسحار، و إن يقبلها المهدي (عج) كانت كالحديث الذى لا يملُّ تكراره. يستفيد الشيخ البهائى فى هذا القسم لعرض أفكاره من التشبيه أكثر من بقية الصور الخيالية كالتشبيه المرسل المجمل فى «مدحة كدر عقود» و «يزفها كغانية»، و التشبيه المرسل المفصل نحو «كأنها أحاديث نجد لا تملُّ بتكرار» و الغرض منها بيان حال المشبه قائلاً:

| | |
|------------------------------|--|
| أيا صفوة الرحمن دونك مدحة | كدر عقود فى ترائب أبكار ^{٣٩} |
| يهنئ ابن هانئ أن أتى بنظيرها | و يعنو لها الطائى من بعد بشار |
| إليك البهائى الحقيقير يزفها | كغانية مياسة القدر معطار ^{٤٠} |
| تغار إذا قيست لطفة نظمها | بنفحة أزهار و نسمة أسحار |
| إذا رددت زادت قبولا كأنها | أحاديث نجد لا تملُّ بتكرار |

النتيجة

بعد دراسة القصيدة خلصنا إلى أن أسلوب الشيخ البهائى هو أسلوب الشعراء القدماء الذين كانوا يتدثرون أشعارهم بمقدمة غزلية تقليدية، ثم يدخلون الغرض الرئيس. ولم يجتز البهائى الشعراء القدامى و لذلك عمد إلى المدح و الفخر و قد أطال فيهما كفعل التقليديين، و إنه يرى نفسه أفضل من الشعراء الكبار فى العصر العباسى، و يتحدث فيها عن صفات الإمام (عج) و تفقده الناس، ثم يشير إلى الخطوب التى أصابت المسلمين، و يدعو أن يقوم الإمام حتى يُنجيهم منها، و يعتقد أن أفضل أعوانه من بنى همدان و تنتهى القصيدة بالفخر. أما الأفكار الموجودة فى القصيدة فى مدح الإمام (ع) فهى: ١. إن المهدي (عج) خليفة الله و ظلّه ٢. هو العروة الوثقى ٣. إن مفتاح الكون بيد الإمام (عج) ٤. إن عند الإمام لعلماً لا منتهى له ٥. يستنير العالم بنوره (عج) ٦. المهدي (عج) صاحب سرّ الله فى العالم ٧. إن الإمام (عج) لينجى المؤمنين من الظالمين ٨. أفضل أعوان الإمام (عج) من قوم الشيخ البهائى.

الهامش

١. السمام: جمع السُّم.
٢. كهام: بطيئون لاخير فيهم.
٣. يبدو أن تاريخ سابع عشر غير صحيح و الصحيح سابع و عشرون، و ربّما هذا التحريف من النقل أو من الكتابة.
٤. كان من العرفاء بأصفهان.

٥٨ دراسة قصيدة «الفوز و الأمان فى مدح صاحب الزمان»

٥. قرية من بلاد كيلان.
٦. السرى: سير عامة الليل، حزوى: اسم موضع من مواضع الدهنا من ديار تميم، العذيب: تصغير عذب اسم، ذو قار: موضع بين الكوفة و واسط.
٧. أجم: أشعل.
٨. لييلات: جمع لبيلة تصغير ليلة و إنما صغرها للتقليل، لأن أوقات السرور تخال قصيرة كما أن أوقات الهموم تخال طويلة، الغوير: تصغير غار و هو اسم ماء لبنى كلب، الحاجر: منزل للحجاج بالبادية، المزن: السحاب.
٩. الجيرة: جمع جار، النازح: البعيد.
١٠. المرام: مصدر رام يروم: طلب.
١١. سام الإنسان ذلاً أو خسفاً: أولاه إياه و أراداه عليه.
١٢. الأغوار جمع الغور: عمق الشئ و قعره.
١٣. استغز: أثار و أزعج و استخف.
١٤. الضاوى: النحيف و الدقيق. مستوفز: اسم الفاعل من استوفز: جلس على هيئة كأنه يريد القيام.
١٥. المهول: المخوف. الشادى: المعنى.
١٦. الظلل: ما بقى شاخصاً من آثار الديار.
١٧. الرزيا جمع الرزية أو الرزية: المصيبة.
١٨. الطود: الجبل العظيم.
١٩. كؤود: شدة، صعبة المرتقى، الوخز: الطعن بسنّ الرمح.
٢٠. الحتف: الهلاك، الهزاهز: تحريك البلايا و الحروب للناس.
٢١. الأسى: الحزن.
٢٢. النواصى جمع الناصية: مقدم الرأس. المغوار: المقاتل الكثير الغارات.
٢٣. أجلت من أجال: جعله يجول، و- أداره، الحلبات جمع الحلبة: عدة من الخيل تجمع للسباق.
٢٤. القسور: الأسد، السوار: الوئاب.
٢٥. ضرع: ذلّ و خضع. هو يغضى على الفدى: يحتمل الذل و الضيم و لا يشكو.
٢٦. الأطمار جمع طمر: الثوب الخلق.
٢٧. بزغت الشمس: طلعت و ظهرت، التيمة: أعلى كل شئ.
٢٨. الخافقان: أفق المشرق و أفق المغرب.
٢٩. المقود: الجبل الذى تقاد به الدابة، خوار: مبالغة من الخور و هو الضعيف، أى القسى الدهر إلى الممدوح (ع) زمام ضعيف يقوده حيث شاء فهو كالفرس الضعيف الذى لا يقدر على الاستعصاء.

٣٠. الأجزاء: جمع جذر.
٣١. يعيشه من أعشى فلاناً: جَعَلَهُ أعشى.
٣٢. أدناس جمع الدُّنَس: الوسخ.
٣٣. المقاليد جمع مقلاد: المفتاح.
٣٤. حادَ عن الشيء: مالَ عنه.
٣٥. العشواء: الناقة الضعيفة البصر.
٣٦. قرحت: جرحت.
٣٧. الغاشم: الظالم.
٣٨. عبل: ضخم، شمردل: ذوالأخلاق الحسنة.
٣٩. التراث جمع التريبة: موضع القلادة.
٤٠. الغانية: المرأة المستغنية بحسنها عن الزينة.

المصادر

- الأعلمى، حسين (١٤١٩ هـ.ق.). ديوان الإمام علي (ع)، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- الأمين، محسن (١٤٠٣ هـ.ق.). أعيان الشيعة، المجلد التاسع، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
- الأميني، عبدالحسين بن أحمد (١٣٩٧ هـ.ق.). الغدير، المجلد الحادى عشر، ط ٤، بيروت: دار الكتب العربى.
- التفريشى، مصطفى (١٤١٩ هـ.ق.). نقد الرجال، الجزء الرابع، بيروت: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
- الشيخ البهاى، محمد حسين (١٣٦١ هـ.ش.). ديوان، بمقدمة استاذ سعيد نفيسى، نشر جگامه.
- الشيخ الصدوق، (١٤١٨ هـ.ق.). الهداية، قم، مؤسسة الإمام الهادى.
- صدرالدين المدنى، السيد على (١٣٢٤ هـ.ق.). سلافة العصر، مصر.
- صدرالدين المدنى، السيد على (١٣٨٨ هـ.ش.). الحدائق النديية فى شرح الفوائد الصمدية، تصحيح السيد أبو الفضل سجادى، قم: منشورات ذوى القربى.
- العلامة الخوانسارى، ميرزا محمدباقر (١٣٩٢ هـ.ق.). روضات الجنات فى أحوال العلماء و السادات، الجزء السابع، قم: مطبعة استوار.
- العلامة المجلسى، (١٤٠٣ هـ.ق / ١٩٨٣ م). بحار الأنوار، الثانية المصححة، بيروت: لبنان، مؤسسة الوفاء.
- القرطبي، تفسير القرطبي (١٤٠٥ هـ.ق.). دار إحياء التراث العربى، بيروت: مؤسسة التاريخ العربى.
- مدرسى، محمدعلى (بلاتا). ریحانة الأدب، ط ٤، طهران: منشورات خيام.